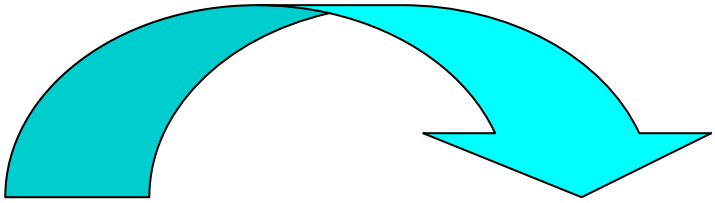

المظهر العام من المنظور الاسلامي

د.هاجر محمد على حبة

- أ. مشارك_قسم الخدمة الإجتماعية
- كلية الآداب جامعة أمدرمان الإسلامية

المظهر العام من المنظور الإجتماعى

مستخلص الدراسة :-

تناولت الباحثة في هذه الدراسة موضوع المظهر العام من المنظور الاجتماعي من خلال عدة محاور هي تحديد مفهوم الظهر العام ، دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية ' السلوك وأثره على المظهر العام ، أثر السلوك على البيئة والمظهر العام . ركزت الباحثة على دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية لأنها هي التي تقوم بغرس المعايير والقيم في نفوس أطفالها منذ الطفولة المبكرة وتقوم بتحويل الطفل من كائن بايولوجى إلى كائن اجتماعي وتقوم بعملية التطبيع الاجتماعي والضبط الاجتماعي . كما يتم داخل الأسرة إشباع جميع احتياجات أفرادها . كما تناولت الدراسة السلوك وأثره على المظهر العام بإعتبار السلوك هو المرآة التي تنعكس عليها قيم وثقافة المجتمع وقيم وثقافة الأسرة وتأثير ذلك على البيئة الاجتماعية التي يعيش فيهاالإنسان.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أنه للمحافظة على المظهر العام لابد من إتباع برامج وقائية وإنشائية وعلاجية واتباع اسلوب الحوار والتوعية والضبط الرسمي وغير الرسمي .

مقدمـــة:

تعتبر قضية المظهر العام لأي مجتمع من المجتمعات من القضايا الهامة والحيوية لأن المظهر العام لأي مجتمع هو المؤشر الحقيقي والمرآة الحقيقية التي تعكس ما بداخل هذا المجتمع من صوره الحياتية المختلفة.

ولاشك أن المظهر العام يختلف من مجتمع لآخر ومن دولة لأخرى ، وفقاً لما يتسم به هذا المجتمع من موارد إقتصادية ومن مكونات ثقافية واجتماعية ومن ديانة يتدين بها ، ومن طقس ومناخ وتضاريس ومن سلالات وأعراق . فجميع هذه المكونات تؤثر حتماً على الإنسان في هذا المجتمع وتؤثر في تكوينه وتشكيل شخصيته كانسان .

ولاشك في أن المظهر العام يتأثر بعملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة والمؤثرات الموجودة في المجتمع وينعكس ذلك في شكل سلوك يؤثر سلباً وإيجاباً على المظهر العام .

موضوع الدراسة :.

الموضوع الأساسي لهذه الدراسة هو محاولة لتحديد دور الاسره من خلال عملية التنشئة الإجتماعية ودور المجتمع في الحفاظ على المظهر العام المقبول في المجتمع السوداني بإعتبار أن دور الأسرة هو الدور الأساسي في غرس القيم والمفاهيم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لأفرادها ودور المجتمع هو دور مساعد ومساند للأسرة من خلال التأثير المباشر وغير المباشر في عملية التنشئة الاجتماعية وفى الحث على السلوك القويم.

والحفاظ على المظهر العام للفرد والجماعة والمجتمع بصوره لائقة ، فالمظهر العام للسلوك ينعكس في الحفاظ على المظهر العام للبيئة الاجتماعية مما يحقق التوافق التام بين المظهر العام المقبول من حيث السلوك كبشر والحفاظ على المظهر العام للبيئة الاجتماعية ومكوناتها . فجمال المظهر وحسن المنظر سمة من سمات المؤمن والجمال هنا المقصود به الجمال مطلقاً في السلوك والتعامل مع الآخرين ومع البيئة.

والباحثة تتناول هذا الموضوع من خلال عدة محاور هي :.

١.مفهوم المظهر العام .

٢.دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية

٣.السلوك وأثره على المظهر العام .

٤.اثر السلوك على البيئة والمظهر العام .

أولاً : تعريف المظهر العام :

المظهر العام في اللغة : أصل الظهور خلاف الخفاء وقد يعبر به عن الخروج والبروز ، ظهر الشئ يظهر ظهوراً أي : تبين أو برز بعد الخفاء والظِهاره بالكسر : ماظهر للعين .

أما المظهر في الإصطلاح فيقصد به : هيئة المرء وما يكون عليه عند بروزه أو خروجه ، وهيئة الشئ هي صورة الشئ وشكله وحالته وقد يعبر بالهيئة عن الزى أو اللباس[١].

والباحثة تتناول المظهر العام من المنظور الاجتماعي في هذه الدراسة وتقصد به السلوك العام في المجتمع السوداني بكل مكونات هذا السلوك من قيم وأخلاق ولباس وتعامل والتزام ديني وموروثات ثقافية واجتماعية وبيولوجية وانعكاس ذلك في التعامل في المجتمع سلباً وإيجاباً مع الإنسان والبيئة ، ودور الأسرة والمجتمع ووسائل الضبط الاجتماعي والقانوني في تحسين المظهر العام والحفاظ عليه بما يحقق مرضاة الله ومصلحة المجتمع . فالمظهر العام هو انعكاس ثقافة المجتمع

[١] لسان العرب – مادة ظهر

على شخصيات أفراده ورؤيتهم لأنفسهم ويظهر ذلك في شكل سلوك عام يميز المجتمع المعين عن غيره من المجتمعات .

ثانياً : دور الأسرة في عملية التنشئة الإجتماعية :

تعتبر الأسرة هي أساس المجتمع وهى اللبنة الأساسية في بناء المجتمع ، فإذا صلحت صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد المجتمع ، وتعرض للإنهيار القيمي والأخلاقي .

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان واستخلفه في الأرض وأمره بتعميرها وكرم الإنسان وفضله على كثير من المخلوقات ، قال تعالى " وَلَقَد كرّمنا بني آدم وحملناهُم فِي البرّ والبحر ورزقناهم مِنَ الطيبات وفضلناهم على كَثير مّمّن خَلقنَا تفضِيلاً "[٢]. هذا التوالد والتكاثر يفترض أن يتم وفقاً للضوابط الشرعية وعن طريق الزواج الشرعي . فالإنسان يولد على الفطرة وهنا يأتي دور الأسرة والمجتمع ومؤسساته في ترويض هذه الفطرة وتزكيتها عن طريق عملية التنشئة الإجتماعية منذ مراحل الطفولة المبكرة ، حيث أن الوظيفة الأساسية للتنشئة الإجتماعية هي " غرس المعايير في الأفراد مما يجعلها جزءاً من ذاتية الشخصية عند الفرد وبذا يشعر بالحاجة

[٢] الإسراء الآية (٧٠)

الماسة إلى أن يتماثل معها ويدرك أنها عنصراً جوهرياً في التفاعل الاجتماعـي"[٣] .

وعن طريق غرس هذه المعايير والقيم فالطفل يكتسب ثقافة مجتمعة ويتحول من كائن بايولوجى إلى كائن اجتماعي . فالأسرة تلعب دوراً هاماً في حياة الفرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي والتطبيع الاجتماعي حيث يُعرف الضبط الاجتماعي بأنه " رقابة سلوك الأفراد ومدى التزامهم بالقيم والمعايير وفقاً لما يرسمه المجتمع للوصول إلى أهداف معينه ومحددة ،ووسائل الضبط الإجتماعى في المجتمع الحديث هي التنشئة الاجتماعية الصحيحة ، وعن طريق القانون ، أما وسائل الضبط الإجتماعى في المناطق الريفية فهي تتم عن طريق العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع " [٤] .

ويتم داخل الأسرة إشباع جميع احتياجات الفرد بالإضافة إلى توجيه السلوك وتهذيب تفاعلات أفرادها وتمثل الأسرة القدوة لهم وتمنحهم الحب والحنان والأمان .

لذلك فالتنشئة الاجتماعية هي " عملية إنسانية وإجتماعية يكتسب الفرد من خلالها الطبيعة الإنسانية

[٣] بتصرف عن معن خليل عمر ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق ٢٠٠٢م ، ص (٣٨٨-٣٨٩)

[٤] المرجع السابق ذكره ، ص (٣٧٩-٣٨٠) .

التي لاتولد معه ولكن تنمو من خلال المواقف عندما يشارك الآخرين تجارب الحياة في المجتمع"[٥].

لذلك، تقوم التنشئة الاجتماعية عبر وسائلها المختلفة كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والرفاق بإكساب الطفل الصفة الاجتماعية إذ أن الطفل يولد وهو مزود بمجموعة من الاستعدادات والقدرات التي يعمل المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية على تنميتها حتى تتحول من قوة كامنة إلى فعل متحقق. ووجود المولود البشرى في وسط إجتماعى يعتبر عاملاً هاماً في إكسابه الصفة الاجتماعية وتحويله من مجرد كائن حي إلى كائن اجتماعي بكل مايتضمن ذلك من حقوق وواجبات وبكل مايتطلبه من قيم وتوقعات تنسجم مع الثقافة السائدة "[٦] . لذلك لو كانت التنشئة الاجتماعية سليمة فهي تؤدى إلى ترقية الروح عن طريق التعلم والقدوة حيث يتعلم الطفل كيف يتعامل ويتصرف كإنسان وفقاً لمعايير وأهداف الجماعة التي ينتمي إليها، كما يتعلم أنماط وأساليب السلوك المرغوب فيه ، ويتعلم أداء العبادات وممارسة الشعائر الدينية ، وكيف

[٥] صفاء عبد العظيم وآخرون ، الأسرة والطفولة من محيط الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٨٥م ص(٦٥-٦٦)

[٦] طلعت عيسى وآخرون ، الرعاية الاجتماعية للأحداث (المنحرفون) ط (٢) القاهرة ١٩٩٠م، ص٤٢

يسلك كشخص مسلم، وكيف يؤدى أدواره الاجتماعية المختلفة سراً وجهراً بما يرضى الله سبحانه وتعالى .

كذلك في هذه المرحلة العمرية وهى مرحله الطفولة المبكرة يتدرب على كيفية التعبير عما في نفسه وكيفية الدخول في علاقات اجتماعية ايجابية وفقاً للمعايير والقيم والضوابط الشرعية .

وعلى الأسرة الاهتمام بالتكوين الجسمي والصحي والاهتمام بالإعداد النفسي والانفعالي والديني لأن كل من هذه المتغيرات تؤثر سلباً وإيجابا على جوهر الفرد وينعكس ذلك على مظهره العام في شكل سلوك .

فإن أخطر المراحل العمرية في حياة الإنسان هي مرحلة المراهقة المبكرة من ١٢-١٥سنة ثم مرحلة المراهقة المتأخرة من سن ١٥-١٨سنة وهذه هي أخطر المراحل العمرية في حياة أي إنسان وتعتبر قنبلة موقوتة متوقع انفجارها في أي وقت مخلفة ورائها أشلاء إنسان وربما ضياع أسرة بأكملها .

لذلك لابد من أن تعد لها العدة في مرحلتي الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة بحيث يكون أسلوب التربية أساسه الصراحة والوضوح والقدوة والحوار والعناية والاهتمام والعطف والحب والحنان من والدين على مستوى الوعي الكافي بخصائص هذه المرحلة واحتياجاتها وكيفية التعامل معها وطريقة وأسلوب التربية المطلوب لتجاوز مخاطرها . هذا على مستوى الأسرة أما على مستوى المجتمع فلابد من الاهتمام بهذه الشريحة التي

ستؤثر حتماً سلباً وإيجاباً على المظهر العام للمجتمع وهناك مؤسسات عدة تكمل دور الأسرة مثل الأندية الرياضية ومراكز الشباب والمسجد " الدروس المسجدية " المسرح ....الخ .

والأمر يتطلب أن تقوم جميع هذه المؤسسات بالإضافة للأسرة بجهود وقائية وإنشائية وعلاجية تساعد الشباب في سن المراهقة على تجاوز هذه المرحلة بأمان.

كل ذلك يوضح أهمية عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها بحيث أن العملية كلها تعتمد على تكامل الأدوار بين الأسرة والمؤسسات والمجتمع . فإن التنشئة الاجتماعية السليمة تؤدى إلى ترقية الروح عن طريق التعلم وعن طريق القدوة فيتعلم الطفل منذ الصغر كيف يتعامل ويتصرف كإنسان وفقاً لمعايير وأهداف الجماعة التي ينتمي إليها كما يتعلم أنماط وأساليب السلوك المرغوب فيه ويتعلم آداء العبادات والشعائر الدينية وكيفية آداء الأدوار الاجتماعية المختلفة في المواقف المختلفة بما يرضى الله سبحانه وتعالى . ويتدرب على كيفية التعبير عما بداخلة وكيفية الدخول في علاقات اجتماعية ايجابية وفقاً للمعايير والقيم والضوابط الشرعية .

إذاً دور الأسرة ومسؤوليتها المباشرة وفقاً للمنهج الاسلامى يتحدد في " بلورة شخصية الطفل المسلم شخصية تتميز بالالتزام والهدوء وتتحرك بالإقدام والجرأة والصراحة والشجاعة والشعور بالكرامة "[٧].

فللأسرة دورها الكبير في عملية التطبيع الاجتماعي لأفرادها ولكن الأسرة كما سبق وذكر هي إحدى مكونات النظام الاجتماعي للمجتمع ويرى عاطف غيث " أن النظم الاجتماعية هي نمط من أنماط التنظيم الاجتماعي للمجتمع وبالتالي فالأنساق الكبرى تعتبر هي المنظمة للتفاعل الذي هو قاعدة العلاقات الاجتماعية "٨

ومن هنا يتضح أن النظم الاجتماعية في المجتمع المسلم يفترض أن تقوم لتحقيق مقاصد الشريعة التي اتفق على أنها " هي تحقيق مصلحة العباد في العاجل والآجل معاً "٩. كما تعرف بأنها " جلب منفعة أو دفع مضرة "١٠.

هذا وقد قسم الشاطبى مقاصد الشريعة إلى ثلاثة أقسام :.

[٧] عبد الله صالح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ج ١،٢، بيروت ، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ ،١٩٨١م

[٨] عاطف غيث ، علم الاجتماع ،ج٣،القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٨ ، ص٢٨٧.
[٩] الشاطبى ، الموافقات ، ج٢ ، ص٦ .
[١٠] الغزالي ، المستصفى ، م١، ص٢٨٦

الضروريات وهى مالا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ومن الضروريات حفظ الدين ، النفس ،العقل ، النسل ،المال .

الحاجيات وهى يفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدى في الغالب إلى الحرج والمشقة التحسينات وتعنى الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المدنسات ويجمع ذلك مكارم الأخلاق. [١١] .

وتنبثق القيم العامة للمجتمع المسلم عن العقيدة الإسلامية قال تعالى:ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله "[١٢].

وتعتبر القيم إحدى مقومات الثقافة التي تشكل السلوك الإنساني ويتأثر بها تأثيراً مباشراً. والثقافة هي التي تحدد مايجب ومالا يجب ، لأن الثقافة هي الكل المعقد من القيم والعادات والتقاليد والدين والفن واللغة والأعراف ، ويرى إسماعيل الحاج موسى " إن الثقافة لاتكتسب عمقها الإنساني إلا إذا إلتزمت بالخير والتقدم ، وإلا إذا تفاعلت مع الإنسان والأرض وإلا إذا غاصت في أعماق التراث والحضارة ، وإلا إذا ضربت بأقدامها في طرقات الواقع "[١٣].

[١١] أبو اسحق الشاطبى ، الموافقات في أصول الشريعة م٣،ج٣،ص (٨-١١)

[١٢] سورة لقمان الآية (٢٥)

[١٣] إسماعيل الحاج موسى ، ورقة عمل بعنوان : الحرب والسلم في مجتمع متعدد الاثنيات والثقافات (التجربة السودانية)، ص ٢٢. ١٣٢.

كما يرى إسماعيل الحاج موسى أن الثقافة السودانية هي حصيلة مزج العروبة بالموروث الثقافي الأفريقي ، وتفاعل الإسلام مع الثقافات المحلية ، وأن هذا الأمر تم بأسلوب حضاري سلمى فيه الكثير من التلقائية والتسامح والحوار الإرادي واللاإرادي وأن كل هذا أفضى إلى الثقافة الإسلامية الأفريقية[١٤] .

وبما أن ثقافة أي مجتمع تختلف حتماً عن ثقافة غيره من المجتمعات وفقاً لمتغيرات القيم والعادات والتقاليد والدين والفن والأعراف واللغة

ومستوى الوعي والمعرفة لذلك يختلف حتماً السلوك من مجتمع لآخر .ورغم اهتمام الكثير من العلماء والمفكرين بدراسة السلوك الإنساني ودوافعه فلم يصلوا إلى نتائج محددة والى حقائق ثابتة لأن هناك جوانب غير مرئية وغير ملموسة في الإنسان قال تعالى " وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا اسويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين "[١٥]

هذا هو سر خلق الإنسان فقد خلق من شي مادي هوالطين وهومايعطينا الشكل الظاهر للإنسان ولكن نفخت فيه الروح ، والروح هي الجانب الغير مرئي وغير مشاهد وغير معلوم للبشر قال تعالى "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى "[١٦]

[١٤] المرجع السابق ، ص ٤.

[١٥] سورة الحجر الآية (٢٩)
[١٦] الإسراء الآية (٨٥)

وفى كل إنسان جانبين جانب الخير وجانب الشر لقولة تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره "[١٧]

وقال تعالى " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا " . وقال تعالى "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " وكما قال تعالى " قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها " فتزكية النفس التي تنعكس في شكل سلوك عام تحتاج إلى المجاهدة والعزيمة والإصرار لينصلح حالها إذاً فترقية المظهر العام من ناحية شرعية واجتماعية تدخل ضمن مقاصد

الشريعة الإسلامية وبما أن عملية التنشئة الاجتماعية من أهم وظائف النظام الأسرى لذلك يجب أن تتم هذه الوظيفة وفقاً لمقاصد الشريعة الإسلامية عن طريق حفظ الضروريات وتوفير الحاجيات وغرس التحسينات وهذه التحسينات تتمثل في مجموعة من القيم الإسلامية يصفها فاروق الدسوقي بأنها قيم ثابتة ومطلقة وهى :.

قيمة الحق ويرى أنها القيمة العليا التي تنبثق عن عقيدة الإسلام باعتبارها التعبير الالهى عن الواقع الكوني ، وأن الحق هو اسم من أسماء الله وبالتالي فلا توجد قيمة تعلو عليه.

قيمة الخير وهى القيمة العليا المنبثقة من الشريعة الإسلامية وأن مفهوم الخير يخضع لمفهوم الحق باعتباره القيمة الأعلى .

[١٧] سورة الشمس الآية (٧-٨)

قيمة العدل وأنه قيمة ثابتة باعتبارها تنبثق من الحق والخير ويتبع ذلك سائر القيم الخلقية من الأمانة والصدق ، الوفاء والرحمة ، الإحسان ،البر ،الحياء .... الخ . فكلها تهدف إلى الخير وتحقيقه وتقوم على الحق "[١٨].

لذلك وحتى يتم ترقية الجوهر وتزكيته وحتى يكون السلوك هو السلوك القويم فلابد من غرس هذه القيم في نفوس الأطفال منذ الصغر عن

طريق التنشئة الاجتماعية حيث أن وظيفة التنشئة الاجتماعية هي غرس المعايير في الأفراد مما يجعلها جزءاً من ذاتية الشخصية عند الفرد وبذا يشعر الفرد بالحاجة الماسة إلى أن يتماثل معها ويدرك أنها عنصراً جوهرياً في التفاعل الاجتماعي "[١٩].

فعن طريق غرس هذه القيم يكتسب الطفل ثقافة مجتمعه ويتحول من كائن بايولوجى إلى كائن اجتماعي وتتضمن عملية التطبيع الاجتماعي تعريف الطفل بعملية الضبط الاجتماعي ألا وهو الرقابة على سلوك الأفراد ومدى

[١٨]. فاروق الدسوقي ، مقومات المجتمع المسلم ، ط٢، بيروت ، المكتب الاسلامى،١٩٨٦ ،ص ٦٥

[١٩] . بتصرف عن : معن خليل عمر ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٨٨-٣٨٩ .

التزامهم بالقيم والمعايير وفقاً لما يرسمه المجتمع للوصول بهم إلى أهداف معينه ومحدده.

ثالثاً : السلوك وأثره على المظهر العام :

تعتبر شخصية الإنسان هي المحصلة النهائية لعملية التنشئة الاجتماعية داخل وخارج الأسرة بالإضافة إلى العوامل الوراثية وبعض الإستعدادت الفطرية لدى الإنسان مما يجعل من الصعب فهم السلوك الانسانى فهماً صحيحاً . فالسلوك الفردي لايفسر باعتباره سلوكاً فردياً وإنما يفسر في ضوء الكثير من العوامل المتداخلة والمؤثرات التي تؤثرعليه سلباً وإيجاباً فهو جزءاً من المنظومة الاجتماعية التي تؤثر فيه

ويتأثر بها . فالإنسان عضو في نسق الأسرة وهذه الأسرة عضو في عدد من الأنساق كلٍ يؤثر ويتأثر بالآخر .

هذا ويبدأ السلوك الانسانى يتشكل منذ المرحلة الجنينية للإنسان وتسبقها مرحلة الاختيار وهذه المراحل هي مرحلة الرعاية غير المباشرة ولكنها توفر المقومات الأساسية لسلوك الإنسان مستقبلاً . ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة الرعاية المباشرة .

ولكي نسلك سلوكاً يتماشى مع ديننا وقيمنا وعقائدنا وأعرافنا فنحن في حاجة إلى اتباع مداخل

كثيرة حتى لايفقد أبناؤنا هو يتهم التي تميزهم حتماً عن غيرهم .

ويعتبر الإطار القيمى للمجتمع هو الموجه للسلوك وتعرف القيم بأنها " حالات إدراكية واقعية توجه جميع أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية أو الاجتماعية ، وأهم مايميزها هو اتصالها بثقافة المجتمع وحضارته مباشرة [٢٠]. فنحن في حاجة إلى جيل تتوافر له المقومات الجسمانية والصحية السليمة ويدرك العقيدة الصحيحة وتتوفر له المقومات الإيمانية والاجتماعية والنفسية

حتى لايكون مسخاً مشوهاً فالمؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف . ويتطلب ذلك العمل من خلال ثلاث أبعاد أساسية هي:

إيجاد حالة من الوعي للأفراد والجماعات والمجتمعات بالأسس والقيم والقواعد الإسلامية التي يجب أن تقوم عليها نشأة الطفل .

٢.تقديم كافة الخدمات التي تساعد على تحقيق البعد الأول واستخدام الأسلوب الاسلامى في ذلك الذي يتميز بالوضوح والتحديد والموضوعية من ناحية والصدق والأمانة والعدل والمساواة والخلق الكريم بإطاره القيمى من ناحية أخرى .

[٢٠] . فاروق عبد السلام ، البناء القيمي للشخصية ، بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، مكة المكرمة ، ١٩٨٠م ، ص ٤.

٣.وقاية الطفل من التعرض للصعوبات التي تعوق نموه جسمياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً وإيمانياً مما يدعم نشأته وتوافقه ويزيد من ثقته بنفسه ويجنبه الوقوع في المشكلات ٢١.

فهذه الأبعاد الثلاث تتطلب من القائمين على الأمر توفير جميع المقومات التي تساعد في ذلك إن أردنا أن نبدأ من الآن في إيجاد جيل جديد مستفيدين من تجاربنا السابقة ، جيلاً معاصراً يتميز بالخلق القويم ، جيلاً ملتزماً دينياً وأخلاقياً في غير تطرف ، جيلاً متسامحاً مع نفسه ومع الآخرين جيلاً يحمل معاول البناء بدلاً من معاول الهدم .

فما نشاهده الآن في الشارع العام يبعث على الحيرة ولا أقول الصدمة . فبالرغم من أن هناك شباباً كُثراً يفاخر بهم الإنسان ولكن هناك أيضاً من

طمست هويتهم تماماً وهناك من هم في حيره من أمرهم قال تعالى " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا "٢٢. وقال تعالى " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها "٢٣ وقال تعالى " يأيها الذين أمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات

[٢١] زين العابدين محمد على رجب ، المدخل الوقائي للخدمة الاجتماعية في رعاية الطفل إسلاميا ، أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام ، المعهد العالمي للفكر الاسلامى ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٦م ، ص ٤٤٢.

[٢٢] سورة الإنسان الآية (٣)
[٢٣] سورة الشمس الآيات (٦-١٠)

الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحدٍ أبدا ، ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم "[٢٤]

فالمجتمع السوداني هو مجتمع متنوع الأعراف والثقافات وبما أن العاصمة الخرطوم هي نقطة التقاء وانصهار هذه الثقافات جميعاً فإن هذا انعكس بصورة كبيره على السلوك في الشارع العام فسلوك معين في ثقافة معينة قد يكون مقبولاً ولكنه يكون مرفوضاً في ثقافة أخرى مما يحتم ضرورة وضع ضوابط ومعايير محدده لاتخرج عنها جميع الثقافات وتلتزم بها في مظهرها العام

كما أن هناك مؤثرات أخرى منها القنوات الفضائية وحركة العولمة . الهجرة ، النزوح ، ..الخ فكل هذه الأشياء أثرت تأثيراً قوياً على حركة المجتمع وعلى قيمة مما انعكس على السلوك فعادة يكون للموروث الثقافي أثره في الزى والزينة فمناخ السودان وما يتميز به من ارتفاع

درجات الحرارة خاصة في الصيف جعلت الزى القومي السوداني للرجال هو الجلباب الأبيض والطاقية والعمامة . وهو فعلاً يناسب مناخنا ، وجعلت هذه الثقافة الثوب السوداني للمرأة هو الزى الرسمي بكل مافيه من اتساع يعمل على التهوية وجمال المنظر ، ولكن إذا نظرنا للشارع العام اليوم نجده يعج بكافة أنواع الملابس وبدأ الثوب السوداني يتوارى وكذلك الزى

[٢٤] سورة النور الآية (٢١)

البلدي للرجال وبدأت تحل محله أزياء أخرى . ما يتعلق منها بالمرأة يبدأ من العباءه والخمار وهى تمثل زياً شرعياً محتشماً وتتدرج إلى أنواع من الأزياء لاتتناسب نهائياً مع التكوين الجسمي ولا تناسب المرأة السودانية التي خلقها الله بمواصفات معينة . وتتدرج هذه الأزياء من النقاب ثم الحجاب ثم الثوب السوداني إلى قطع من الملابس في شكلها وتكوينها لاتتماشى نهائياً مع قيمنا وأخلاقنا وعاداتنا وديننا الاسلامى .

فهي تُظهر أكثر مما تخفى وهى تدعو إلى الفتنة أكثر مما تدعوا إلى الاحتشام ، مما زاد من حدة المشاكل الاجتماعية في المجتمع من تحرش جنسي ، اختطاف ، اغتصاب ، تعليقات ساخرة أو جارحة ، أطفال غير شرعيين ، سلوكيات غير منضبطة ، عدم الحياء ...الخ .

فمظهر الفتاة هو انعكاس لسلوكها ولتنشئتها ولأسرتها ومن المؤسف أن الكثير من الفتيات يرتدين هذه الملابس وهن بصحبة والدهن أو أخوانهن

فلم تعد هناك غيره على العرض بل كثيراً مايتباهى الأب أو الأم بابنتهم وجمالها وزينتها الصارخة في الشارع العام وأصبح هناك قطاعاً من الشباب انطمست هويته وحدث له استلاباً فكرياً فأصبح مقلداً لما يشاهد في القنوات الفضائية لاهياً عابثاً ساخراً من كل مايقيده من قيم دينية وأخلاقية مما يستوجب ضرورة الانتباه لأهمية وجود أخصائي اجتماعي أومكاتب الخدمة

الاجتماعية في كل المؤسسات التعليمية لان للخدمة الاجتماعية من المداخل مايؤهلها للتعامل مع هذه الظواهر حتى لاتستفحل وتؤدى إلى انهيار في القيم والأخلاق. إذاً لكي يتحول السلوك في الشارع العام من ظواهر سالبة إلى ظواهر إيجابية لابد من العمل بتركيز وبجدية من خلال ثلاث مداخل أساسية هي :.

المدخل الوقائي : ويتم العمل في هذا المدخل من خلال فريق عمل فيه الأخصائي الاجتماعي ومتخصص في علم النفس وداعية وإعلامي بالإضافة إلى المنهج الأكاديمي . بحيث يكون لكل

منهم دور في الخطة الموضوعة وتستخدم في هذا المدخل كل الوسائل لتنفيذه لرفع مستوى الوعي

العام للمجتمع لما يجب ومالا يجب سواء كان ذلك عبر المؤسسات التعليمية في مستوياتها المختلفة عن طريق المحاضرات والدروس واستثمار المواقف المختلفة ورفع مستوى الوعي

العام للأسرة فيما يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية باستخدام وسائل الإعلام المختلفة والمنابر المختلفة .

المدخل العلاجي : لمعالجة الكثير من الظواهر السالبة والسلوكيات غير المنضبطة خاصة في

فئات الطلاب والطالبات وهذه السلوكيات عادة ماتكون في سن عمرية معينة هي مرحلة المراهقة وماقبل المراهقة أي من ١٢–١٥ ومن ١٥–١٨ سنة وهذه المرحلة من خصائصها المميزة التمرد على السلطة الوالدية والمدرسية والتمرد على القوانين والميل إلى التحرر وهى مرحلة تتميز بالقلق واختلال في المعايير ولها مخاطرها الشديدة إذا لم يتم احتوائها بوعي وليس بعقوبة وهنا تقوم مكاتب الإشراف الاجتماعي بمعالجة هذه السلوكيات بدرجة كبيرة من الوعي ومعرفة ودراية تامة بكيفية إحلال سلوك قويم مكان سلوك منحرف وعادة طيبة محل عادة سيئة .

المدخل الإنشائي : وفى هذا المدخل تتداخل خطوط متعددة ولكن يركز هذا المدخل على إنشاء مؤسسات تساعد في حل مشاكل المدخل العلاجي كما تساعد في التمهيد للمدخل الوقائي ليعمل . مثل إنشاء الأندية الرياضية والثقافية المراكز الاجتماعية لشغل أوقات الفراغ ، بيوت الإيواء ..... الخ .

فلو عملت هذه المداخل معاً لأدت إلى نتيجة ممتازة في تعديل السلوك في الشارع العام وتحسين صورته بإعلاء القيم الإيمانية وتنمية العلاقات الاجتماعية وإحياء قيم التكافل والتعاون والسلام والأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر وإحياء قيم المحبة في النفوس وتطهيرها من قيم البغض والكراهية والاستغلال والغش .

هذا وقد أثبتت بعض الدراسات أن الأطفال العدوانيين والمضطربين انفعالياً والمتأخرين دراسياً غالباً ما يكونوا قد تعرضوا للقسوة والنبذ من الوالدين . وأن ٨٠- ٩٠% من الأطفال الجانحين كانوا في طفولتهم ضحايا لسوء المعاملة الوالديه والنبذ والتسلط الذي عاشوه في طفولتهم . لذلك يعتبر الجو العاطفي للأسرة من أهم العوامل التي تؤثر في تكوين شخصية الأبناء وأساليب تكيفهم فالعاطفة الصادقة يهتم بها الطفل وتعزز ثقته بنفسه ، بينما يؤثر الكره سلباً على شخصية الطفل ويؤدى به إلى سوء التكيف مع المجتمع وقد يؤدى به إلى الانحراف[٢٥].

رابعاً : المجتمع والبيئة :

لقد شغلت البيئة كل البشر عبر العصور التاريخية فكانت مصدر الخوف والفزع أحياناً ومصدر الأمن والراحة أحياناً أخرى . فالبيئة ليس

لها مدلولاً واحداً محدداً فرحم الأم بيئة ينمو فيها لا الإنسان ولولم تكن مهيأة لما عاش فيها الجنين وأي اختلال في هذه البيئة يؤدى إلى مشاكل بالنسبة للحامل أو لجنينها كذلك المؤسسات التعليمية هي بيئة ولو لم تهيأ

[٢٥] صالح محمد على ، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، عمان ، الأردن ، ط ٤، المسرة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤م ، ص٢٥.

بما يؤدى الأغراض التعليمية وزيادة التحصيل الاكاديمى وراحة الطلاب داخل الفصل وخارجة ولو لم يكن فيها خضرة وحدائق وملاعب لما كانت بيئة جاذبة للطلاب ويمكن عن طريق تفعيل النشاط الطلابي أن يقوم الطلاب أنفسهم بتحسين هذه البيئة وتغييرها ويؤدى هذا النشاط إلى إرساء قيم تربوية وتنمية الولاء

والانتماء للمؤسسة . كذلك هناك بيئة الحي والتي تحتاج إلى تعاون جميع سكان الحي في نظافتها وتشجيرها والمحافظة عليها بحيث تكون بيئة صحية وجميلة المنظر ، وعموماً فلفظ البيئة يشمل كل شي فهناك البيئة البيولوجية والبيئة الطبيعية ....الخ

وتعرف البيئة أحياناً بأنها " مجموعة الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها الكائنات الحية وتؤثر في العمليات الحيوية التي تقوم بها "[٢٦].

ولكي نعيش في بيئة صحية لابد من غرس مفهوم التربية البيئية في أبناءنا منذ الصغر بحيث يدركون أن أي تصرف أو تعامل خاطئ مع البيئة يمكن أن يترتب عليه تلوث بيئي أو إهدار للموارد الموجودة في

البيئة أو كارثة بيئية . تعرف التربية البيئية بأنها " عملية تعليم المجتمع كيفية حماية نفسه من الأمراض والمشاكل البيئية "[٢٧] .

[٢٦] على كامل فرج ، البيئة والنظام البيئي " دليل الشباب في رعاية البيئة " المجلس الأعلى للشباب والرياضة ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ١.

[٢٧] . أحمد يوسف بشير ، الانسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامي ، المعهد العالمي للفكر الاسلامى ، القاهر ١٩٩١م ص ٣٨٥.

كما تعرف بأنها " عملية تغير أفكار وأحاسيس وسلوك الناس فيما يتعلق بصحتهم وبيئتهم"[٢٨]ويرى آخرون بأنها " هي العملية الأساسية التي تعنى بإعداد المواطنين الواعين بالبيئة البيوفيزيقية " البيولوجية والطبيعية وما يرتبط بهما من مشكلات ، وبحيث يتكون لديهم المعرفة والمهارة والرغبة والالتزام بالعمل على حل المشكلات الراهنة والمستقبلية "[٢٩] .

وعموماً فالتربية البيئية تتضمن ضرورة غرس سلوك جديد للتعامل مع البيئة والحفاظ عليها عن طريق فهم العلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة المحيطة به وكيفية حمايتها من الأخطار المحيطة بها والتي ستؤثر حتماً على الإنسان وتكوين الاتجاهات الايجابية وغرس القيم الإسلامية في المحافظة على البيئة نظيفة صحية جميلة وحسن استغلال الموارد الموجودة فيها ومحاولة استكشاف الموارد الكامنة ، إدراك المشكلات البيئية وتحديد أسبابها وكيفية وضع الخطط والبرامج لمعالجتها أو الحد منها فقد خلق الله الكون قبل خلق الإنسان وخلق

الأرض وأمر الإنسان بتعميرها قال تعالى " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) "[٣٠] وقد سخر الله كل مافى السموات والأرض للإنسان

[٢٨] يوسف القرضاوى ، ثقافة الداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٨٤م ، ص ٢٥ -٢٧.
[٢٩] . المرجع السابق ص ١٣٠.

[٣٠] هود الآية (٦١).

ليستفيد منه بقدر مايستطيع الاستفادة القصوى قال تعالى " وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون "[٣١] وقال تعالى في سورة النحل " والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوفٌ رحيمٌ ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون "[٣٢] فالغاية والمغزى من كل هذا هو تحقيق العبودية لله . قال تعالى "وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون"[٣٣]

ولتحقيق هذه العبودية خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في هذه الأرض وأمره بتعميرها وجعل فيها كل مايحتاج إليه الإنسان من ثروات طبيعية ظاهرة وكامنة ومعدنية ونبات وحيوان ... الخ كما سبق وذكرنا فقد استخلف الله الإنسان في الأرض وأمره بتعميرها ،ولكن إذا نظرنا إلى واقع المجتمع نجد أنه بقدر ما أسهم الإنسان خاصة في هذا العصر نتيجة

للتقدم العلمي والتكنولوجي في تعمير الأرض بقدر ما أسهم أيضاً في اختلال التوازن الطبيعي فيها . ولقد نهى الإسلام عن إفساد البيئة وإهدار

[٣١] الجاثية الآية (١٣).
[٣٢] سورة النحل الآية (٥-٨)
[٣٣] الزاريات الآية (٥٦)

مواردها وحث على المحافظة عليها وعلى مكوناتها جميعاً من مياه وهواء وتربة وحيوانات وبشر وموارد ظاهرة أوكامنة . وأكبر دليل على ذلك حديث الرسول (ص) في إحدى المعارك " لاتقتلوا امرأة ولا وليدًا ولا شيخاً ولا تحرقوا نخيلاً ولازرعاً " رواه أحمد .

وفى وصية أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد حين وجهة إلى الشام قال له " لاتخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخا كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل ، وإذا مررتم بقوم فرغوا لأنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم من أجله "[٣٤].

وعموماً إذا نظرنا إلى العلاقة بين البيئة والمجتمع في السودان نجد أن الإنسان السوداني لايتمتع بالوعي البيئي الكافي الذي يجعله يحافظ عليها ويسعى في تطويرها وتحسينها وتجميلها رغم الجهود المبذولة الآن في النفرة الخضراء وتحسين المظهر العام للمباني والأسواق وسفلتة الشوارع والقضاء على الظواهر السالبة في الشارع العام من عماله

[٣٤] . عن : رشيد احمد ، البيئة ومشكلاتها ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٢ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أكتوبر ١٩٨٩م ، ص٢٢٣ -٢٢٤.

أطفال أو مشردين أو متسولين أو الأسواق العشوائية والسكن العشوائي ، الباعة المتجولين،تلوث الجو بعوادم السيارات وأبخرة المصانع التي أصبحت الآن في شكل حزام وسط الأحياء السكنية كل هذه الظواهر السالبة هناك جهود تبذل لإحتوائها ولكنها جهود مبعثرة وغير مستمرة فما نفعله اليوم نهدمه غداً لعدم وعينا البيئي وعدم استعانتنا بالمتخصصين في المجالات المحددة مما يؤدى إلى المزيد من إهدار الموارد والوقت وأكبر المشاكل البيئية اليوم هي مشكلة تلوث الغلاف الجوى وتلوث المياه بالإضافة للأمراض التقليدية الموجودة في السودان نتيجة عدم الوعي البيئي وعدم التعامل مع
البيئة بطريقة صحيحة وكثير من الأمراض التي ظهرت أخيرًا سببها الأساسي نتيجة التعامل الخاطئ مع البيئة بمعناها العام .

النتـــــائج :

تقوم الأسرة بدور هام في غرس القيم والمعايير التي تتماشى تماماً مع القيم الدينية والثقافية في المجتمع وتنعكس في السلوك العام لأفراد المجتمع والمظهر العام له .
يتعلم الإنسان منذ مرحلة الطفولة المبكرة أنماط وأساليب السلوك المرغوب فيه وآداء العبادات وممارسة الشعائر الدينية وكيف يسلك كشخص مسلم عن طريق التعلم وعن طريق القدوة .

تلعب المؤسسات الاجتماعية في المجتمع مثل المدرسة والأندية الرياضية والثقافية والمراكز الاجتماعية والمساجد ... الخ دوراً مكملاً لدور الأسرة في غرس القيم والمفاهيم وتؤثر على سلوك الفرد وعلى المظهر العام .

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية هي من أهم وظائف النظام الأسرى لذلك يجب أن تتم وفقاً للضوابط الشرعية ومقاصدها عن طريق غرس قيم الحق والخير والعدل حتى يسلك الإنسان السلوك القويم .

يؤثر الموروث الثقافي للمجتمع في الزى والزينه للمرأة والرجل .

تلعب القنوات الفضائية وحركة العولمة والهجرة والنزوح دوراً هاماً في الحراك الاجتماعي في المجتمع وينعكس ذلك في شكل سلوك يؤثر على المظهر العام للمجتمع .

سلوك الإنسان في المجتمع يؤثر ويتأثر بالبيئة المحيطة به .

ضرورة الاهتمام بالتربية البيئية لغرس سلوك جديد للتعامل مع البيئة والحفاظ عليها واستكشاف الموارد الكامنة فيها .

أهمية إدارك المشاكل البيئية وتحديد أسبابها ووضع الخطط والبرامج لمعالجتها أو الحد منها.

أهمية تحسين المظهر العام للمباني والأسواق والقضاء على الظواهر السالبة في الشارع العام من عمالة أطفال ومتسولين والأسواق العشوائية والسكن العشوائي والتلوث.

المحافظة على المظهر العام للمجتمع من حيث السلوك وإتباع البرامج الوقائية والإنشائية والعلاجية في ذلك وإتباع أسلوب الحوار والتوعية والضبط الرسمي وغير الرسمي لتحقيق ذلك.

الخـــاتمة :.

حصيلة هذه الدراسة أن الحياة الإنسانية هي عبارة عن عملية تفاعل بين الإنسان والبيئة التي يوجد فيها. وأن هذه البيئة هي عبارة عن نسق يتكون من عدد من الأنساق وكل نسق من هذه الأنساق يتكون من عدد من الأنساق الفرعية فالأصغر فالأصغر حتى نصل إلى أصغر وحدة في النسق. هذه الأنساق تتداخل وتساند وكل منها يؤدى دوراً معنياً من أجل استمرارية النسق وبالتالي فإن اختلال أي وحده من وحدات النسق يؤثر حتماً على الأنساق الأخرى بحيث يحدث خللاً في النسق الكلى وهو المجتمع .

لذلك ليكون المظهر العام في مجتمعنا السوداني ممتازاً فلابد من الاهتمام بهذه الوحدات الفرعية الصغيرة حتى لانشوه المظهر العام .

المصـادر:

١/ القران الكريم.

٢/ أبو اسحق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة م٣/ج٣.

٣/الغزالي ، المستصغي، م١.

٤/ إسماعيل الحاج موسى ، الحرب والسلم في مجتمع متعدد الاثنيات والثقافات.

٥/ أحمد يوسف بشير ، الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ١٩٩١م .

٦/ عبد الله صالح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ،ج١،٢بيروت ، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، ١٤٠١ه،,١٩٨١

٧/ عاطف غيث ، علم الاجتماع ،ج٣، القاهرة ،دار المعارف ,١٩٧٨

٨/ علي كامل فرج ، البيئة والنظام البيئي ، القاهرة ، ,١٩٨٧

٩/معن خليل عمر ، معجم علم الاجتماع المعاصر، القاهرة ،دار الشروق ،٢٠٠٢م.

١٠/زين العابدين محمد علي رجب ، المدخل الوقائي للخدمة الاجتماعية في رعاية الطفل إسلامياً ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٦م.

١١/ صفاء عبد العظيم وآخرون ، الأسرة والطفل في محيط الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ١٩٨٥م.

١٢/ صالح محمد علي ، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية،عمال ، الأردن ،ط ٤ ، المسرة للنشر والتوزيع ٢٠٠٤م.

١٣/ طلعت عيس وآخرون ، الرعاية الاجتماعية للأحداث ، ط٣، القاهرة ١٩٩٠م .

١٤/ فاروق الدسوقي ، مقومات المجتمع المسلم ، ط٢، بيروت المكتب الإسلامي ،١٩٨٦م.

- أستاذ علم النفس التربوي
- رئيس قسم

١٥/ فاروق عبد السلام ،البناء القيمي للشخصية ، مكة المكرمة ١٩٨٠م.
١٦/ معن خليل عمر ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق ٢٠٠٢م.
١٧/ يوسف القرضاوي ، ثقافة الداعية ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤م.
١٨/ رشيد احمد ، البيئة ومشكلاتها ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٢، الكويت ، ١٩٨٩م.